

التبيان في تفسير القرآن

(233) لان معناه يدعونه إليها فلما قال " من دون الله " وهو من صفة الكفار دل على هذا المعنى فحذف اختصاراً. وانما قال " من دون الله " مع انهم كانوا يشركون في العبادة بين الله وبين الاصنام لامرين: أحدهما - ان ما وجهوه من العبادة إلى الاوثان انما هو عبادة لها لا الله، وليس كالتوجه إلى القبلة عبادة الله. والثاني - أن ذلك غير معتد به، لانهم أوقعوا العبادة على خلاف الوجه المأمور به فما أطاعوا الله بحال. وقوله " كذلك زينا لكل أمة عملهم " قيل في معناه أربعة أقوال: أحدها - قال الحسن والجبائي والطبري والرماني: انا كما أمرناكم بحسن الدعاء إلى الله تعالى وتزيين الحق في قلوب المدعويين كذلك زينا للامم المتقدمين أعمالهم التي أمرناهم بها ودعوناهم إليها بأن رغبتناهم في الثواب، وحذرناهم من العقاب ويسمى ما يجب على الانسان أن يعمل به بأنه عمله كما يقول القائل لولده أو غلامه: اعمل عملك يريد به ما ينبغي له أن يفعله، لان ما وجد وتقضى لا يصح الامر بأن يفعله. الثاني - زينا الحجة الداعية إليها والشبهة التي من كمال العقل ان يكون المكلف عليها، لانه متى لم يفعل منى الشبهة لم يكن عاقلاً. الثالث - التزيين المراد به ميل الطبع إلى الشئ فهو إلى الحسن ليفعل وإلى القبيح ليجتنب. والرابع - ذكره البلخي أيضاً، وهو أن المعنى ان الله زين لكل أمة عملهم من تعظيم من خلقهم ورزقهم وانعم عليهم، والمحامات عنه وعداوة من عاداه طاعة له، فلما كان المشركون يظنون شركاءهم هم الذين يفعلون ذلك أو أنهم يقربونهم إلى الله زلفى، حاموا عنهم وتعصبوا لهم وعارضوا من شتمهم بشتم من يعز عليهم، فهم لم يعدوا فيما صنعوا مازينه الله لهم في الحملة، لكن غلطوا فقصدوا بذلك من لم يجب ان يقصدوه فكفروا وضلوا.